جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة : 2021 – 2022

المستوى: ماستر2 السداسي : الHög التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: تاريخ الأبحاث الأثرية في الآثار الإسلامية بالجزائر

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email : archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: الأعمال الأثرية بقلعة بني حماد:

الأعمال الأثرية بقلعة بني حماد:

بنيت قلعة بني حماد أو قلعة أبي الطويل كما يسميها البكري في سنة 398هـ/1007م على منحدر وعر، على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة 36كلم من المسيلة- حاليا تقع قلعة بني حماد شمال شرق مدينة المسيلة

وهي مدينة اختطها حماد بن بلكين (ت419هـ/1028م)، لقول النويري (ت 732 هـ/1331م):"وهي على جبل عجيسة البرنسية " وهو جبل عظيم من جبال كيانة.

ويحيط بقلعة بني حماد من ناحية الشمال قمة تاقربوست الحصينة، التي ذكرها ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) في وصفه لموقع القلعة : " قلعة حماد مدينة متوسطة بين أكم وأقران، ولها قلعة عظيمة على قمة جبل تسمى تاقربوست..."

أما من ناحية الشرق فهي تشرف على وادي فرج، ويحضنها من الناحية الغربية جبل الغورين. وتطل من ناحية الجنوب على شط الحضنة وسهوله الفسيحة لقول أبو عبد الله الشريف الإدريسي 587هـ/1152م : " ...وأمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة بالانفراج، لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا، إلا على بعد منها، وعلى مسيرة أربع مراحل يرى جبالا لا تبين ".

فضلا على اتصالها الجغرافي بسهول الحضنة لقول النويري 732هـ/1033م: ".. وإطلاله – أي جبل عجيسة الذي بنيت عليه- على بحيرة الحفنة –الحضنة- و اتصالها بسهول فسيحة، وسمو علوه ولصعوبة ارتقائه."

تم تصنيف الموقع الأثري قلعة بني حماد ضمن التراث العالمي منذ 1980، إن أهمية الموقع الأثري من الناحية التاريخية والقيمة الفنية جعلت منه مركز جلب للباحثين الأثريين.

الحفريات إبان الاحتلال الفرنسي:

منذ أواخر القرن التاسع عشر انطلقت الأبحاث في هذا الموقع، ففي سنة 1887 كان لبول بلونشي Paul Blanchet الفضل في بدء الحفر.

ثم استمر العمل سنة 1908 مع الجينرال ليون دي بيلييه Leon De Beylié الذي فتح حفريات أثرية واسعة، تمكن من خلالها من رسم حدود الموقع الأثري داخل بقايا أطلال الأسوار، وتم التعرف على حي جراوة الذي يقع في الجهة الشرقية من المدينة، حيث كان مفصولا عن المدية بواسطة سور داخلي، ويتم الولوج إليه عن طريق مدخل في جهتة الجنوبية يسمى باب جراوة، وكان الحي بمثابة قلعة أو حصن، نظرا لمتانة حصن المنار الذي يطل على وادي فرج من القمة، كما تمكن دي بيلييه من إعادة تصور الشارع الرئيسي الذي ينطلق من باب جنان ويواصل نحو قصر السلام ويقطع واد صغير بواسطة جسر، ويتجه على طول الواجهة الجنوبية نحو الجامع من ناحية الواجهة الشرقية لقصر البحيرة إلى أن يصل إلى باب الأقواس.

وتمكن بيلييه أيضا من الكشف عن النظام المائي للمدية الذي كان يتشكل من الأحواض والصهاريج والآبار والقنوات الناقلة للمياه، ويزيد من أهمية البحث أن أجرى دي بيلييه حفريات في كل من قصر البحيرة والقصر وحصن المنار والجامع الكبير، حيث سمح ذلك من إنجاز مخططات لها، وقدم معلومات حول أسلوب بنائها وزخرفتها، وقد نشر كل النتائج في دراسة خاصة لقلعة بني حماد، ولا بد من الإشارة إلى أنه عثر على فسيفساء محفوظة اليوم في المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية.

لقد أجرى لوسيان غولفان Lucien Golvin حفريات أثرية في قلعة بني حماد خلال السنوات 1951-1962، ولكن بمنهج أكثر حداثة، حيث أعطى أهمية أكثر لتفسير أجزاء قصر البحيرة ، كما حاول تقديم تسلسل زمني لأجزاء المبنى، ففي رأيه فإن المجمع المعماري كان عبارة عن حصن يشتمل في داخله على قصور، ويحتوي الجزء الأقدم على القصر والصهاريج، وعثر على قاعة العرش التي توجد في الجهة الجنوبية من الجناح الشرقي للقصر، وكانت عبارة عن قاعة مربعة ذات حنية، تسبقها قاعة مستطيلة الشكل ممتدة عرضيا على غرار قصر زيري بأشير الذي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر ميلادي، وقد نشرت نتائج أبحاثه في عدة مجلات.

الحفريات بعد الاستقلال:

كان من العادي أن تستمر تلك البحوث بعد الاستقلال، فقد أقام رشيد بورويبة حفريات خلال السنوات 1964 و1971 لمدة شهرفي السنة، وحاول الاستمرار في الأبحاث الأثرية التي سبقته، حيث تمكن من الكشف عن الجامع الكبير (63.30×53.20م) الذي لم يكن يظهر منه سوى مئذنته، ويعد هذا الجامع الأكبر ضمن المساجد القديمة بعد جامع المنصورة بتلمسان، وتتألف من 13 بلاطة، وتم عزل البلاطات الخمس في الوسط بواسطة جدار يبلغ سمكه 1.10م، وبارتفاع لا يزيد عن 0.60م حاليا، ويرى بورويبة أن هذا الجزء اقتطع من بيت الصلاة ليكون بيتا للصلاة عندما هجرت قلعة بني حماد من سكانها، وذلك عكس ما ذهب إليه دي بيلييه الذي كان يرى أن هذا الجزء إنما يمثل المقصورة التي كان يؤذي فيها السلطان وحاشيته الصلاة، كما كشف رشيد بورويبة عن المحراب والصحن حيث عثر على الصهريج الذي يبلغ طوله 5.40م وعرضه1.15م وارتفاعه 2.80، ونقب أيضا عن نصف الحوض الذي يوجد في قصر البحيرة، حيث يشير إليه صاحب الاستبصار أنه كانت تقام فيه الألعاب البحرية، وحفر أيضا في قصر المنار حيث عثر على قاعة العرش، بالإضافة إلى قطع نقدية، وفخارية وتيجان، وتم الكشف عن فسقية الأسود الجميلة، أيضا مصلى صغير مزين بزخارف خطية بالخط الكوفي.

في أواخر السبعينيات من القرن العشرين قامت ولاية المسيلة دون استشارة وزارة الثقافة، بإنجاز طريق يربط بلدية المعاضيد ببرج غدير، ويمر وسط الموقع الأثري لقلعة بني حماد محاذيا الجامع الكبير، وقد أدى ذلك إلى هدم وتخريب بقايا أثرية وطبقات أثرية في مساحة تمتد لمئات الأمتار على عرض عشرة أمتار، وهكذا ضاعت حلقات مهمة من التاريخ العمراني للمدينة.

ولحسن الحظ فإن البعثة الجزائرية البولندية التي قامت بفتح عدد من الأسبار الأثرية خلال السنوات 1987- 1988، قد تمكنت من الكشف عن مختلف مباني لم يتم العثور عليها في الحفريات السابقة، ولاحظت أن مختلف الحفريات السابقة لم تضع مخططات للتوضع الطبقي للموقع.فالأسبار التي أقيمت بالقرب من الجامع الكبير أكدت أن المدينة عرفت عدة مراحل من البناء، حيث أن السبر الذي فتح بالقرب الجدار الشمالي الغربي للجامع يشير إلى

وجود طبقات أثرية لحريق، إن البقايا الأثرية التي تم الكشف عنها تعود إلى الفترة الأخيرة، أو يمكن اعتبارها مجموعة من العناصر التي تشكل مختلف الفترات التاريخية للموقع الأثري، وتعد المخططات سواء المساقط الأفقية والمقاطع ذات قيمة كبيرة من الجانب الإستراتيغرافي للموقع.

نتائج الحفريات:

كل حفرية أثرية أقيمت في الموقع الأثري قلعة بني حماد جاءت بمجموعة كبيرة ومهمة من المكتشفات والمعطيات التاريخية والأثرية. عن القلعة معماريا وعمرانيا، وكشفت عن صفحات من تاريخ الحماديين، ولكن لم نصل بعد إلى تحديد موقع "قصر الزوجين" و"قصر بلارة" اللذين تحدثت عنهما المصادر التاريخية، هذه المصادر نفسها لم تذكر شخصية ابن الناصر أو المنصور الذي قام ببناء قصر البحيرة وقصر النجمة.